الوان ...

قصة

بقلم محيي سليم

— ١ —

ماالفائدة ؛ ابتلعتني دوامة العمل اشهرا عديدة ثم قذفتني وتجاربي الفاشلة .. أغرقت نفسي في عزلة . انا عدو العزلة . قاومت تشردي في متاهات الدروب والاحاديث التافهة في المقهى . تخليت عن كل الاشياء التي كانت تمتص حياتي من قبل . اهرقت الالوان ، اتلفت لوحات عديدة ولم تزل الواني عاجزة لا تهدف الى معنى . كنت اريد ..

ـ حسن ! باحسن .. الفطور جاهز ..

ـ دعني افكر

ـ أانت تفكر ؟ انتبه لئلا تحرق لوحاتك . لفافتك على الارض غير مطفأة ..

ـ تبا لك . دعني وشاني .

ـ أتحسب نفسك في مرسم ؟ أقسم لك انه مدخنة . الدخان اكثر من الالوان وانت شبح من دخان .

ـ اخرج والا ..

ـ حسنا . تذكر بانك لم تتناول طعاما منذ امس .

... مضايقات . الا يكفيني تعبي وانسحاقي تحت وطأة الخيبة ؟ غرفتي مليئة بلوحات لامعنى لها . المكان يعيش في فوضى الالوان . والارض لها النصيب الاوفر من كل الالوان . يتكرم اخي على هذا المكان باسم مرسم . خاصمت وهددت في سبيل الحصول على مكان اعمل به في هدوء . واخيرا تنازلت امي واعطتني هذه الغرفة الضيقة . نافذتها الوحيدة تطل على ارض خربة . استغنيت عن الهواء والنور وارحت نفسي باغلاقها ثم انحشرت انا ولوحاتي بعضنا فوق بعض . اقسم بان هذه الغرفة لم تكن تستعمل من قبل . لااذكر باني رأيتها قبل ان تقدمها لي امي ..

قبل ان ابدأ في دراسة اسلوبي الجديد بالرسم حلمت بانني سانجح واصبح مشهورا .. صاحب مدرسة في الرسم ، ولي اتباع وتلامذة وجيش من النقاد في خدمتي . تلاحق الصحفيون اخباري بعيونهم الشرهة واذانهم الكبرة . ابعثر النقود كملك . سمبحة ذات البشرة الذهبية ستفتح فاها دهشة ، ولن تقول لي : اريد ان اصبح فنانة مثلك بالاستاذ حسن . لايمكنها ابدا ان تبلغ مجدي .

والان . من انا ؟ مجرد فنان عادي . المال الذي ادخرته من بيع لوحاني السابقة ابتلعه شبح جائع من ورق وزيت . اضعت وقتي ودفعت الثمن . عليك اللعنة .. يا ..

ـ خيرا بني ، لمن هذه اللعنات ؟

ـ لافكاري العقيمة .

ـ سلامتك . دعني انظف الغرفة ، وافتح النافذة لتدخل الشمس .

ـ اياك ان تمس شيئا هنا . اتركوني وحدي .

ـ سامحك الله . انت مريض .

هذا لابطاق . اليس في استطاعتي ان اجد مكانا هادئا ؟ هذه المحبة تثقل على نفسي . الى الشارع ايها الانسان قبل ان تبددك العزلة ياعملاق الحجارة والرخام . انا قادم ، فضمني اليك انس وحدتي وبؤسي واضيع مع الناس .

— ٢ —

اليس غريبا ان يكثر الناس من الضجة والحركة ، ام انا الغريب ؟ فشلي يرهقني . كل مافي الشارع من صخب لم يدخل الى ذاتي . لم يخلصني من افكاري . الناس باهتون . في رسومي كانوا اكثر طرافة وجدة . هل ابدوا للاخرين باهتا ؟ اخي قال هذا الصباح :

ـ انك شبح .

ـ انا شبح من دخان . انا ظلال وضباب . انا خليط من الوان رمادية .. زرقاء ... صفراء .. .ملفوفة بليل بنفسجي . هاتان الفتاتان امامي . لو اخطرت احدا من الناس بانهما متشابهتان ، لاجاب:

ـ انت اعمى . القصيرة شقراء والطويلة سمراء .

ـ في مذهبي .. كلتاهما تعطيان لونا واحدا . ايقاع مسيرهما . حديثهما . تآلفهما .. هل انا مضحك ؟ لاضحك على نفسي اذن !

ما بال هذا الانسان يبتسم لي ؟ لعله حسبني اضحك له . اني لا ارى من الناس غير الالوان . ايها الناس . ايتها الاشباح المتحركة . انتم الواني . يامخلوقات لااعرفها . انا انسان متوحش . جميعكم تحت رحمتي . ساكشف الوانكم . الالوان التي تخفونها تحت رديتكم الزاهية.

هل انا مجنون ام عبقري ؟ اريد ان ارقص فرحا .. اشعر بان معجزة على وشك الحدوث هذا الصحافي قادم لاقلاق راحتي . سابتسم حين يصبح قريبا مني .« هذه العادة لن نتخلص منها بسهولة » ستضيع في بسمتي كل خطوط وجهي النحيل . وستختفي معاني الضيق الذي

يملأ جبيني وعيني .

ـ مرحبا حسن . في اي كهف قضيت الاشهر الماضية ؟

ـ في منـــزلـي .

ـ هل تعد معرضا جديدا ؟ سيكون هذا الخبر افتتاحية الفد في الصفحة الفنية !

ـ ابدا . لم ارسم شيئا يذكـر .

ـ وجهك المتعب يدل على انك تعمل . لن اصدق . ستكون مفاجأة تهز موسمنا الجديب .

ـ ابدا . يجب ان تصدقني .

ـ ما هذا التواضع ؟ انت فنان كبير . لن استطيع مناقشتك الان لاني على موعد . سأراك غدا . مع السلامة .

ـ مـع السلامة .

اي لون سأعطيه لك ايها الصحافي ؟

الصحافي لسان ثرثار .. وهو دبق كالسأم ..

يجب ان تكون الوانه متناقضة وصارخة .

قال : انت فنان كبير .. لو نجحت رسومي لتهت فرحا بهذا اللقب. اما الان فان هذه الكلمة تبعث الدوار . لااريد ان اكون فنانا كبيرا ،كما اني لااريد ان اكون عاديا . أريد أن أوجد طريقتي الخاصة في التعبيـر عن افكاري . وليس من الضروري ان ابلـغ به حد الابداع . فقـد يأتي من بعدي فنان اخر .. يؤمن بها فيسعى لتحسينها . كل مدارس الرسم بدأت هكذا ..

ـ عفوا سيدتي ... لم انتبه !

ـ يبدو لي انك لاترى طريقك. امسح نظارتك جيدا في المرة القادمة.

ـ اعتذر لك مرة اخرى .. سيدتي .

رحماك ربي . هذا يوم شؤم . هربت من المنزل الى الشارع .

والان .. الى اين ؟ لااريد ان ادخل المقهى . فقد يدعوني اصدقائي للعب ولا استطيع ان ارفض . انا لاامتلك مالا العب به . سأبحث عـن سميحة . لعل ثرثرتها تخفف عني . انها فتاة طيبة . تملك قدرا محدودا مـن الموهبـــة .

هاهي على الرصيف الاخر . حظي بدأ يتغير . مالي اشعر كأنهـــا غريبة عنـي ؟ هل تغير العزلة الانسان الى هذا الحد . كم تبدو غيـــر متناسقة رغم اناقتها المفرطة .

ـ مرحبا سميحة .

ـ اهلا اهلا استاذ حسن . خابرتك عدة مرات ولم اجدك . هـــل كنت في اوروبا . اني بحاجة الى مشورتك . رسمت عدة لوحات ذات اتجاه جديد و ...

انها لم تدع لي فرصة الاجابة . فهي تتحدث بسرعة لاتقل عن مائـة كلمة في الدقيقة . كيف لم انتبه الى هذا من قبل ؟

ـ هل استطيع يااستاذ انااعتمد على رأيك فى لوحاتي ؟

ـ طبعا . وهل ارفض لك طلبـا .

ـ اذن سأراك غدا . ستدهش لنشاطي ، انا ذاهبة الان الى رفيقتي لكن اخبرني : الم ترسم شيئا جديدا ؟ لقد طال غيابك وبدأ النـــاس يتساءلون : ما الذي حل بك ؟ بعضهم يقول انك اعتزلت الفـن واخرون يعتقدون انك تعمل في الخفاء وستفاجئنا بأشياء جديدة .

ـ كلا . لم ارسم شيئا حتى الان .

ـ هل ستعتزل اذن ؟ دعنا نسير حتى منزل صديقتي . هل من مانع ؟

بأي سطحية تتحدث هذه الفتاة . ان صوتها ناشز يشبه البطة . البطة عادية لا تجذب اهتمام احد . تعلق في أجنحتها قطرات ماء .. فاذا رشتها حولها ، ملأت الدنيا صراخا وقالت : صنعت بحيرة . البطة ليست فنانة ـ تجيد السباحة ولكن دائما قريبا من الشاطيء .

من أين تأتي الفتيات بكل هذا الحديث ؟ هذه الكلمات ... ما بالهـا مسرعة كأنها تخشى ان تغلق فمهـا فتحبس في داخله ؟

ـ ما رأيك يا أستاذ ؟..

ـ عظيم !

ـ بماذا تفكر ؟

ـ اني أبحث عـن لون يناسب البطة .

ـ سخيف . لا يوجد اكثر من البط . والبحث عن لونها لا يشكـل مأساة ... لعلك تمزح ؟ انك تمزح ! هذا اكيد . شيء مضحك . اخبرني لماذا تسأل هذا السؤال ؟

ـ لا شيء . استمري في حديثك ... فانا مصغ تماما .

ـ حسنا. الالوان التـي ...

شـــعر

من منشورات دار الاداب

الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
قصائد عربيـــة	سليمان العيســى
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
عائـدون	يوسف الخطيب

دار الاداب

بيروت ـ ص.ب ٤١٢٣

ترى ما الذي جعلني اعتقد بأنها ستكون فنانة يوما ما ؟ انها فارغة تماما . أيتها الانثى . سأختار لك لونا يمثل الفراغ . لون باهت . ولكن سأضع خطوطا حادة ... تمثل صوتك الناعق . وضربات قاسية بالفرشاة تشير الى انك تثيرين الاعصاب .

ـ الست من رأيي يا استاذ في ان نعطي لكل منظور لونا واحدا.

ـ أبدا . لا يوجد في الوجود ما له لون واحد . حتى هذه الورقة الخضراء البسيطة مركبة من الوان متعددة . لو رسمناها باون واحد لبدت ميتة ، لا توافق الطبيعة

ـ أنا لا أفهم .. والناس ؟

ـ الناس ألوان متمازجة . علينا ان نكشفها بحاسة الفنان فاذا أعطيناه لونا واحدا قتلنا طبيعته وضاعت صفاته الباقية .

ـ أنا لا افهم . ستكون اللوحة على هذا لطخ الوان .

ـ ابدا . اذا استطعنا ان نجرد الاشياء ونحللها الى لون ، نعيدها الى طبيعتها ويشعر المرء انه ليس غريبا عن اللوحة .

ـ ما أزال غير فاهمة . وصلت الان .. شكرا الى اللقاء في الغد .

ـ أرجو ذلك . مع السلامة .

ـ مع السلامة .

« أنا لا افهم » رددت هذه الكلمات كالببغاء . دون ان تحاول تفهم ما اقول . لقد صدمتها فكرتي ـ لا شك . يجب ان اعود الى لوحاتي. أنا لا اعتقد باني فاشل تماما الفكرة واضحة . احتاج الى قليل من الوقت . يجب ان اعطي لنفسي فرصة اخرى. يا غرفتي ..

ـ ٣ ـ

يا غرفتي .. ما اروع الوانك . لقد بدت المدينة باهتة مرتعشة امامك. ها هي الشمس انزلقت من النافذة .. لتلقي بنفسها على لوحاتي. انا في معرض رائع .

ـ ما بك بني ؟ لماذا تصرخ ؟.

ـ أمي ... أمي .. دعيني اقبل يدك . رتبت لوحاتي على الجدار بصورة رائعة . النور يرقص فرحا بألواني . ما كنت احلم بأنك فنانة.. يا أم

ـ أرجوك حسن . انزلني الى الارض .

ـ أريد ان ارفعك عاليا .. اريد ان ارقص معك . أنا لم أفشل .

ـ ليكن الله في عونك .. يا بني

ـ أنا لم أفشل ... يا أم .. أنا لم أفشل

يا الواني ... ذريني أفني نفسي فيك ... اقدم لك العالم هدية... فجمليه واصقليه .. اني أمجدك .. أنت الحياة ... انت الناس ... انت أنا !!

ايتها الالوان ... أنا عاشقك المفضل . فتعالي الي عارية لاصنع منك مجدي .

دمشق — مي يتيم...

من جمعية الادباء العرب

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٣

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان
او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣